من زاوية تربوية

ماهية الأمومة

إعداد

أ د / عصام محمد عبدالقادر سيد

أستاذ المناهج وطرق التدريس

كلية التربية بنين بالقاهرة – جامعة الأزهر

ماهية الأمومة

قال ربي من فوق سبع سماوات : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) الإسراء: 23

ميز الرحمن الأم بمهارات وملكات وحس وجداني وحنان تعد مصادر قوة تمتلك من خلالها الولاء لكيانها في الحياة والممات؛ فالأم تعد مصدر دفء وأمن وأمان واطمئنان لمن تقوم على رعايتهم؛ حيث تبدو النفس في وجودها هادئة مستقرة، لا يتطرق إليها خوف أو وجل من مستقبل غامض، ولا يتسلل إليها كره أو حقد أو شر ينتابها جراء مواقف توجه لذلك، ومن ثم فالأم حقل للإيجابية تعمل على تنمية مناعة الفرد ضد منابع الشرور التي تحلق بالنفس.

بيد أن الأم قاطرة التواصل بين الأرحام والأقارب دون كلل أو ملل؛ لتحدث الترابط بين الأسر على مستواها الصغير والكبير، وبما يشكل النسيج المجتمعي المتين؛ حيث إن صفاء قلب الأم يخفي الألم ويظهر البهجة والسعادة التي تغمر الوجه في أوقات الترحاب والاستقبال والضيافة، ولو على حساب الراحة والسكون، إنها التضحية في صورتها البسيطة التي نعيشها كل إشراقة شمس.

وحنان الأم وقلبها النقي لا ينفك قطعاً عن تحمل المسؤولية في منزلها وعملها المنوط بها؛ حيث تبذل الجهد المضاعف لينال الجميع من حولها القسط الذي ينشده، وهذا ما يثير الدهشة ويلقى قبول الأب ويرضى عنه، ومن ثم يتحقق رضى رب العباد، ولا يتوقف حد الحنان عند هذا الحد بل يمتد إلى مشاطرة الرجل في همومه وما قد ينغص عليه حياته، وما قد يثقل أحماله من مشاق الحياة المتنوعة والمتغيرة، ومن ثم يشعر الرجل بالثبات والصبر والمقدرة على التحمل ومواصلة العمل والجهد في سبيل مساندة صادقة من أم تحمل بين جنباتها الحنان الذي يرتوي منه الجميع، وتشتد به العزوم.

ودوما تتجدد الهمة والنشاط لدى الأم بصورة طبيعية؛ حيث تتلقى دعمها من العالم بحالها والبصير بعباده؛ لتستكمل مسيرتها بقوة وتثابر على تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة، وفي إشراقة كل شمس وغروبها يكلل ربها جهودها بالنجاح، لما تقدمه من جهد مشفوع بالحب والرضا، وإيمانا بدورها الذي لم تتخلى عنه لبرهة من الزمن، وهذا ما تستحق عليه التكريم والتعظيم والبر التام في الحياة وبعد الممات.

وتشهد النظريات التربوي والمؤسسات التعليمية أن تعديل السلوك لدى الأبناء يصعب أن يتم بعيداً عن مشاركة فاعلة للأسرة، وبخاصة الأم التي تتمسك بعقيدتها وتؤمن بربها وتشكره على نعمه التي لا حصر لها، ومن ثم تحرص على تربية أبنائها بالطريقة الوسطية التي ينشدها ويرضى عنها المجتمع ومؤسساته التعليمية، ومن ثم تحدث الأثر الفعال في هذا المضمار.

إنها الأم التي لا تنام إلا بعد الجميع بغية الاطمئنان، والتي لا يغفل لها جفن إلا بالدعاء للأبناء ورب منزلها لتحصد البركة ورضى الرحمن بالشكر والحمد، إنها الأم التي يجافيها النوم حال معاناة أحد أفراد أسرتها من أي علة أو مرض أو أرق، وتسهر بكامل جوارحها لتقدم الدعم والمساعدة والرجاء والتوسل من رب السماء بتخفيف المرض أو تلبية حاجة من حاجات من يعاني.

وتشكل الأم محطة الخير ومرساه؛ حيث إنها بوابة العطاء للقريب والغريب ولمن يقوم بالسؤال، إيمانا منها بأنه ضرب من ضروب الخير الذي لا ينبغي تركه على الدوام، إنها صاحبة الفعل الذي يغمره الود والوصال دون مأرب، وهذا يهذب الروح ويخلي بينها وبين ربها، ويغرس فيها الوفاء دون مقابل، بما يحقق التوافق النفسي والاجتماعي على السواء.

وبما لا يدع مجالاً للشك فإن الأم تمتاز بالهدوء في وسط الصعاب وتمتاز بالتريث في المواقف العصيبة، وتمتاز بالصبر حال المعضلات، وتمتاز بالفطنة حال المفاجآت، إنها الأم التي تحمل راية الكفاح والجهاد على مسرح الحياة التي تمتلئ بالتحديات والمشكلات المتجددة مثل النهر الجاري، إنها الأم التي تحمل على عاتقها مسؤولية نجاح جميع أفراد أسرتها، وتتحمل وزر الإخفاق برغم ما تقدمه من عطاء يصعب حصره، يمتد كشروق الشمس في سحائب الفضاء.

وما تتمناه الأم لأبنائها يفوق خيال التمني؛ حيث تحمل جينات التفاؤل والأمل، وتبذل الغالي والنفيس في غرسه لدى أبنائها على مر الزمان إلى أن تلقى الرحمن، وهذا ما يؤكد سر نهضة المجتمعات عبر جيل يحمل راية التنمية والتقدم والازدهار، وفق رؤية تربوية متميزة تؤكد على أصالة الماضي والاهتمام بالحاضر والنظر للمستقبل القريب والبعيد؛ فحيا الله الأم بغمرات الرحمة ومنحها السعادة في الدارين.

ولا ريب فإن صلاح وإصلاح المجتمعات مرهون بصلاح الأم التي تشكل لبنة بناءه من خلال جيل يحافظ على عاداته وتقاليده ويحمي قيمه ومبادئه ولا يفرط في مقدراته، ويعضد ثقافته وتراثه بين ميراث الشعوب في شتى مجالات الحياة، وفي المقابل عندما تصاب الأم بأحد الأمراض التي تستهوي النفس وتستميلها نحو الضروب التي تخالف قيم المجتمع وتقاليده الحميدة فإن ما تفرزه من أجيال لا يصاحبها التوفيق والسداد المنشودين على بقاع المعمورة.

ولنا أن ندرك أهمية البر للأم متمثلا في الحب والاحترام والتقدير والرعاية والعرفان بالجميل الذي يصعب رده لها، ومن ثم حسن المعاملة صارت أقل ما يمكن تقديمه للأم التي يصعب وسمها بسمة منفردة؛ حيث تتعدد خصالها ومحامدها وصفاتها؛ لذا بات هذا البر مستدام في الحياة بمزيد من الكرم والإحسان والطاعة، وطلب الرضا، والاعتراف بالفضل دوما، وفي الممات بمزيد من الدعاء والصدقات الخفية؛ بغية نيل رضا رب السموات والأرض في الدارين.

ولا يسعني في مقام ماهية الأمومة ألا أن أقول إن خواطري مع أمي لا تنقطع، وبرّي لها مستدام ما حييت؛ فاللهم ارحم آبائنا وأمهاتنا، وأعنا على مواصلة برّهم في مماتهم، وحسِّن بفضلك وجُودِك تربية أبنائنا على برِّنا في الدارين ... اللهم آمين.

أ. د / عصام محمد عبدالقادر سيد

أستاذ المناهج وطرق التدريس

كلية التربية بنين بالقاهرة – جامعة الأزهر